منعرج
الكثافة اللاإنسانية

ترقب

قلّما
ترغب يدُ النهار العاشقة أن تفعل
وقلما تدوم تلك اللذة
بيدها الرنّانة سوف تنكش حجارة الأرضْ
هذه الزهرة
إيماءة لشجرةٍ على غصنٍ منكسرْ
سوف يطلع الفجر على سلالمِه العالية
ويتعالى الألق
الذي يُنتزع
ثمة رغبة لم يكن لها أبداً
أن تعرف
غير أن عينين سوداوينِ
سوف ترتقبانْ!!

خسارات

خسارة فادحة
أن لا تحلم هذه الشجرةْ
خسارة فادحة أن تعمل هذه الروح
ككسارة أحجار
خسارة فادحة
أن يكتب قمر بيديه الاثنتينِ
على أعلى منحدرٍ
وعلى متسع من هاويتين
أنا حياةٌ محذوفة.
خسارة فادحة
أن تحدق في الموت الرّنانْ
بينما العالم يبلل رجليه في الدمْ في العدم

خسارة فادحة
أن تقود النهار إلى مراعيك اللانهائية
فيما ليلك الذي يشبه المستنقعات
ينام هادئًا إلى جوارك
خسارة فادحة
أن تضع يدك في جيبك
وتتأمل القمر
وهو يضحك تحت جمجمة منخورة
لطفل أعمى
خسارة فادحة
أن تنام تحت زهرةٍ وحيدة
بينما يحرق الربيع أزهاره على قارعة الطريق
خسارة فادحة
أن تفكر في البحر
بينما السفن تغرق
ولا يتبقى لدى البحارةِ
إلا سمك القرش
وندم المرجانْ الأزرق
خسارة فادحة
أن تنبت كل هذه الأحلامْ
فوق آنيةٍ من بلاستيكْ
وأرض من فحمْ
خسارة فادحه أن يكون كل هذا الليل
فوهة بثلاثة براكينْ
خسارة فادحة
أن تكون كل هذه الصلوات
للاشيء
خسارة فادحة
أن تكون أو لا تكون.

أزهار فجرية

آه
من شمسك التي لا تتوقف إلا عند دائرة الظل
من خياناتك التي تشغل الليل
بحناناتٍ
وحصى
أهٍ من روحك التي تصرخ
فوق جسميْ
مثل علقةٍ دامغةٍ
وأغنيات بفجر
اتركي لروحك أن تقول لا
فمك سوف يقول نعمْ
اتركي لجسدك أن يقول لا
ذهب صدرك سوف ينضج بين شفتي
وعلى مبعدةٍ من ألف صيف
اتركي لعينيك السهوليتينِ
أن تراني ميتـًا
أصابعك اللمّاعة سوف تبعثني حيـًا
قلبي مليء بالمخاوف والشك
وقلبك مطمئن إلى خطواتك التي تتوقع
وتحدّس!!
شعرك مليء بالتصورات والرؤى
بينما فمك يصنع المستقبلْ
ويؤرخ لكواكب اللذة
أيتها السيدة
لكم أحب ذهب يديك المضاعف
وأزهار فجرك
الرائجةُ!!

رمل متحرك

من خلالِ الحبّ
يتحد السلام بالمعرفة
والإرادة
بالرغبة
أيها الندى
لا تستسلم كثيراً لرغبة الشمس
فكل هذه الأنهار
سوف تذهب أخيراً إلى البحر
الرغبة اللانهائية للعشب
لا تختلف كثيراً عن الرغبة اللانهائية
للضوء!
المجد
والثروة
عَرَض زائل ولا تخصّ أي شيء
أو تخضع لأى شيء
كل الأمور واحدة
فقط
هنالك الكل الذي يضبط العالم
مثل قائد لأوركسترا الزمنْ
بيده العليمة تنبسط السماء على الأرضْ
وتنطلق الروح في الجسدْ
تمامـًا
مثلما يولج النهارَ في الليل ويولج الليل في النهار
البدنُ
في البدنِ
والجسدُ في الجسدِ
والعين في العين

تلك
حكمة الحياة اللمَّاعة!!
ثمة نهارات غائمة
وأخرى مستفيضة
وصائفة
ثمة أرض منبسطة وتعجّ بالضواري
وأخرى واطئة
ولا تعرف أي شيء عن حكمة الحياة
والموت
من ذا الذي يوحد الروح في الجسدْ
ويجعل الزمن يمتدّ إلى ما لا نهايةٍ
الفناء الذي يطرق العالم ويكومه مثل كومةٍ
من الأنقاض
والتناقضات
سوف يطوقك في النهايةِ كذلك
وسوف يتبعك الزمن
ببلطته القوية
وقوسه الأخرق
الذي لا ينحرف أبداً
من خلال الحبّ يتحد السلام بالمعرفةِ
والرغبة بالإرادةِ
فالهوة الفاغرة الفم
سوف تبتلع كل شيء
حتى المستقبل كذلك
ذلك القط الأعمى الذي يلوح من بعيدٍ
نقطة الدائرة
هي الدائرة نفسها
في الحقيقة.

منعرج الكثافة اللاإنسانية

الهواء الذي يترجرج في سُنن الليل
ليس أقل قليلاً
من ذلك الهواء الذي يسكن في أعلى البرج
وفوق أسطح البيوتِ
والطرق الرطبة للكوابيس
ليس ثمة ما نفعله طيلة الزمنْ
سوى أن نراقب الليل
وهو يتسلل من فُرَجِ النهار
مثل فراشة ضالَة
ونراقب النهار
وهو يكنس بيديه المعروقتينِ
تلك الحيوانات
المتفحمة
التي تركها الموت
على بقع الذاكرة المهدمة
والطرق المتربة
لكافة المستنقعاتْ!!
إلى أين تقودنا هذه الطرق اللانهائية
للهواء؟!
هنا
وعلى بعد خطوتين
اثنتين
من منعرج الكثافة اللاإنسانيةِ
للعالم
سوف نعبر على كافة التصورات اللزجة
لأشجار السماء المحترقة
وسوف نواصل الغناء

بعين منجرحةٍ
على حجارة الشوارع الرطبة
للأمس
يا لهذا الزمنْ
الذي يقف مصلوبًا
وأعمى
على هواء الأشجار العالية للرغبة
فيما يفكر بأناةٍ
وعمقٍ
في كراسات اللامعنى!!

غيمة سانشوبانزا

في ظلي تسكن حمامة فارهةْ
على بابي تقف شجرة بأربع نوافذ وثلاث أساطير
هذه الريح التي تأتي من الغرب دائمًا
تعرف كيف تتوقف على قبعة جنرال ميت
وربما تلوّح للعابرين
بتحيات مريرةٍ
وبضع دونكيشوتات قداميْ
ما الذي تفعله هذه الغيمة المحملة
بالاسطقسات
والزمن
وذلك عبر الأحلام الكرتونية لكناسي الشوارع
ومصابيح الليل المغلقة
ما الذي يفعله ملك الذباب البستونيْ
سوى أن يجلس تحت حبل غسيلٍ
لامرأةٍ عجوز
تترك طيورها الليلية العمياء لترعى الهواء

والظلّ
ما الذي يجعل السماء تتفكّك
في عز الظهيرة العدوةِ
وهي تخلع سراويلها الداخلية المندّاة
لتترك لنجمةِ الفجرِ الضالةِ
حيواتها الراسخة
وحيواناتها المفخخةِ!!
دعيني
أيتها الكلاب العدوة
التي لا تنهش إلا نجمة الصبح العميانة
لكي أحلّ ضيفـًا
على الشوارع الممغنطة بالحروب والدم
والتي أخبئوها في جيب بنطالي الأيسر
وأنتِ
أيتها العجلة المكفهرة
يا عجلة الحظ
العمياء
لمَ لا تتوقف عجلاتك الخشبيةِ
إلا على قوائم الأسفلت
المعجون بأمعاء المارةِ
وعرق الآجرّ.

منجم الرغبات الطليقة

يبدو أن شيئًا ما لن يحدث طيلة هذا النهارْ
القدمان اللتان مشيت بهما ناحية الكركم والليلْ
الفجر الذي يندس وبضراوةٍ
تحت لسانيْ
الليلْ

هذا الليل الذي استطاع أن يحتفظ بطراوةِ
الجذر
وكائنات الأنقاض
مع الضحكة الخائخة التي تقبع في زوايا الذاكرةِ
الخربةِ للنسيان
اليدانِ
اللتان عملتا وبقسوةٍ
على اكتشاف المناطق الأكثر نأيًا لحفائر الرغبة
فوق جسمي
وهما تتحسسان بعنايةٍ
ورغبةٍ
جزائر الماس
ومناجم اللازورد
المشربةِ بالحمرة
كل ذلك
فيما جسمك ينتصب عاليـًا تحت قبة الفجر
الذي لا يندثرُ
لملاكٍ يخرج عن الطاولةِ دائمـًا
أو كحارسٍ لغابةٍ من الآجر
أمسِ
كان يتعين عليّ أن أرقد تحت ستائر الرغبة
العالية
لحكايةٍ أجيرةٍ
ربما
بلا أيقونات
أو حتى مصابيحْ
وها نحن نتحسس الشمس
التي خرجت لأول مرةٍ من تحت غابة النسيانِ
الكثيفةِ

فيما ترقدين – أنتِ – إلى جواري عريانةً
وكقطٍ أرقط
لتتذكري
كل تلك الينابيع
التي تتفجر تحت قنطرة الجسدِ
وشهوات المنجم الملحي
للرغبة!!
نعم
سوف أزيحُ ستائر الزمن الصلبة هذه
من تحت وطأة معاولكِ
وفيضانات
رغبتك
وبيدي هاتين سوف أغرس وردة حمراء
فوق حليبك الذي أخذ يتفرع إلى شمس
وأرخبيلات!!

نسيان أكيد

لنترك لرغباتنا الحارّة
شكل أسنانها التي تلتهبْ
تحت ظهيرة مغبرةٍ
لشمسٍ
واطئةٍ!!
لنترك لصلواتنا الشائخة
كل تلك النضارة التي تُنتزع من صلابةِ
القشرة
الداخليةِ
للأملْ
بجرَّافاته الكبيرة سوف يتوقف النهار ذو الأيد

على نقا الجسد الكامل
للعالم!!
نسيان أكيد
يعرف كيف يمسح عن العين
تلك الدمعة اللمَّاعة
لكل خطأ الروحْ
وكل ذلك العجز الفادح للجسد
هناك
وأمام كل تلك السفن المحملة بالأسرى
وعبر أنفاق الزمن
اللامرئية
سوف نتوقف أخيراً
أمام بوابة السماوات التي تعملُ
وبلا حارس واحدٍ
ليسهر على نسياننا الأكيدِ
وبعيداً
عن كل تلك الجاذبية الخانقة
للذكرى!!

مستنقع الرخام

في النهارات الباردةْ
كثيراً ما يلملمُ الليل عباءاته الفضية
وينام تحت سريري
الذي يشبه الخرائط السرية للزمنْ
ليستمتع بأساطيره
وأغنياته
تلك الأغنياتْ
التي ينسجها العالم بيديه الرخاميتينِ

فوق طاولةٍ من قش
ونعاس
الآن
ماذا تفعل الريحُ سوى أن تتمشى على الجانب
الأكثر بطئًا من الرغبةْ
ماذا يفعل كل أولئك الغرقى فوق هذه السفن
سوى أن يتركوا أحلامهم
وصرخاتهم
التي تشبه الملح الجافّ فوق مدار الجاذبيةِ
لا يمكن لكل هذه الأرض
أن تنام تحت سقيفة العتمة
إلا وفي جيبها قمر ضريرْ
أيها القمرُ الأخضرُ
ألم يكن لك أن تجلس على الناحية الأخرى من الجسر
لتتأمل الفضاء
بعين منجرحةٍ؟!

تكاثر

الفراغ الذي يتوقف على الجدرانْ
الزمن الذي يتكاثر على مخدات النومْ وأحواضِ الغسيل
لينهش حويصلة العدم
العنكبوتات الضخمة
التي تعبث بأرجلها الهائلة
فوق أنشوطات الأسىْ
والندمْ
لا شيء
لا شيء يشبه تلك اليرقة السامة
التي تتكور بأفعوانيةٍ

على الحركة الأسطوانية للزمنْ
أية
آلهة تلك التي تتكسر بمنحوتاتها الرثة
وأغانيها
التي تشبه الروث الجاف
على الطبلة الإردوازية للأفق
كمن يعلك رئتيه
بأصابعه وأنيابه
هذا العدم الذي يبيض ويفقس على صنارة الريح
ماذا يفعل كل قارعي الطبول هؤلاء
في هذه التراجيديا اللاإنسانيةِ
للعدم
أنا بحار وأعمى!!

قانون الجاذبية

حياتنا هذه
تلك التي تقع بين المرئيّ واللامرئي
بستان شائخ
لصيدلاني لا يتقن حرفته
ولا يعرف الرحمة أبداً
ما إن تقع وببطء هذه التفاحة الأزلية
من أعلى الشجرة
إلى الأرضْ
إلا وينقطع ذلك الخيط الرفيع
الذي يربط مركز الثقل الكوني
بذلك البستاني
النائم
تحت قبة مغفرته؟!

دوال

الصاعدُ نفس الهابط
والهابط عين الصاعد
نفس القفل
الذي يغلق الباب يفتحه
الظل شريعة النورْ
والنور جوهر الظل
وحركته
صورة الحجر تكمن في الحجر ذاتهِ
كما تكمن صورة الماء
في الماء
اليد التي تمسك بالهواء
تفيض على الفكرة
والعين التي تبصر المادة
تتعثر في حقيقة العدمْ
أي فكرةٍ هذه
تلك التي تُخضِع العالم
للتماثل!!

الكلمات

الكلمات
تلك الوطاويط التي تطاردني
في آخر الليل
بعينين زائغتين
وفمٍ أدردْ
– ما إن يهدأ الظلام
وتخف الحركةُ
حتى يقف السكون على قدميه

الخشبيتينِ
مثل لاعب ضريرٍ
لسيرك متنقل
وها هي الكلمات المدججة بالأفكار
الضحلة
والأغنيات الجمة
تدخل غرفتي مثل طائر الحجلِ
رافعةً رأسها
العنفواني
بقبعاتها السوداء تارة
وقبعاتها الحمراء تارة أخرى
– القبعات السوداءْ
تشبه السجنْ
والقبعات الحمراءْ
علامة على الندمْ –
أيتها الكلماتْ
أخرجي من غرفي الضيقة المعزولة
ورفرفي بعيداً عني
أريد أن أنام
بلا كلمة واحدة عن الفجر الأجيرْ
في حراسة العنكبوت الأعزل!!
آه
من تلك الكلمات التي تنزو
على ثياب اللغةِ
ببقعٍ
من ملاطٍ
وأرجوان.

جنكيز خان

الممالك التي من هواءٍ وقش
الأبنية العتيقة
والسجلات العسكرية
معسكرات الجند
ورواتب الحاشيةِ
النساء اللواتي نمنَ في فراشي لليلةٍ
أو ليلتينِ
النياشين المعلقة على الجدران
والحوائطِ
مثل ذكريات مالحة
لجماجم الجند
وحراس البواباتْ
البلاد التي دخلتها ألف مرةٍ
مثل دورات المياه
وما تركت على طرف حذائي
ولا ذرة واحدة من الغبارْ
السفن المحملة بالغلالِ
والأسرى
كتب التاريخ والجغرافيا
التي أعبئها في أجولة الخيش
والملح
العربات المكتظة بالتيجانِ
والعروش
والتي تجرها البغال
والحمير
عبر آلاف الأميال لتباع كمخلفات

لجيوشي المنتصرة!!
المدن المطوية
والمدن المغلوبة
المدن الآسرة
والمدن المأسورة
هذه الإمبراطوريات التي لا تغرب عنها الشمس أبداً
والتي ما استسلمت لقياصرةٍ قط
أو فاتحين سواي
ها هي الآن قد استسلمت لجنودي
وقوّاد جندي
بلا حربةٍ واحدةٍ
أو صهيلٍ لفرس!!
السقوط المدوي للتماثيل العملاقة
والآلهة ذات السطوة والرنين
آلاف الجند الذين يتناثرون
عبر الفيافي
والصحراوات المترامية الأطرافْ
كوليمةٍ زاخرةٍ
للحيّاتِ
والعقبان
كل هذه الممالك التي فتحتها
من هواءٍ
وقش
يا لعبث العالم
والتاريخ
اللعنة!!
فليذهب إلى الجحيم كل هذا
المجد!!

كبير الآلهة

في تلك السنواتْ
كان يجلس كبير الآلهة على الأبسطة الصوفية
المحشوة بالضحكات
والقش
فيما كانوا – أي الآلهة – يتحدثون فيما بينهم برغبةٍ قويةٍ وخشيةٍ
عن انحلالِ الأجرام السماويةِ
والاحتباس الحراري
وتفكّك قانون الجاذبية
والتشقق المفاجئ الذي أخذ يعتري
الجهة الشمالية لنظام المجموعة الشمسية
مما قد يجلب معه انهيار الكون
بأكمله
وفيما
كان يجلس كبير الآلهة
ممدداً رجليه
في وجه بقية الآلهةِ
ونافثًا بخارَهُ الكثيف كتعويذة خالدةٍ
وفي لحظةٍ من الضغينة المناوئة
والطيش
اقترح جلالته بإبادة كافة المخلوقات البشرية
– تلك الحشرات السامة –
التي لا تكف أبداً عن الصراخ
والجلبةِ
حتى يتمكن كافة الآلهة المبجلين من التفكير العميق
وتدبير شؤون بقية العوالم
والتي هي أولى بالرعايةِ
من كل تلك المسوخ التي لا تكف أبداً

عن الصراخ
والقتل
بينما اقترح ثالث
أن تتحول كافة الأنهار إلى دم
وصديد
حتى يهلك الحرث والنسل
وذلك الكائن القردي اللعين
والذي كان خطأً فادحـًا
من الآلهة آنذاك
وإذ
كان النقاش محتدمًا إلى هذا الحدّ
استأذن كبير الآلهة
في أن يذهب إلى دورة المياه العموميةِ
– التي تسمى الأرض–
لكي يقضي حاجته في الخلاء الرحب
فيما كان باقي الآلهة يباركون ربّ الأربابْ
على فعلته التي صفقوا لها طويلاً
وعدّوها من بدائع صنعه!!

ساحة القديس بطرس الرسول

المرأة التي قد توقد الشموع كل ليلةٍ
في ساحة القديس بطرس الرسول
من أجل أن يكون الرّب رحيمـًا بها في ساعة النزع الأخيرةِ
والتي اختفت من الكتب والتواريخ
وزوايا الأرصفة
والمعابد القديمة
وأصبحت تطوف في الذاكرةِ بلباس النسيان
والجزع

تعرف جيداً
أن رائحة يديها النيئتين
تشبه عرقَ شجرة الكستناء الوحيدة
التي تقف صامدة في وجه الريحْ
وذلك رغم مرور أربع حروب داميةٍ
وعدة شتاءات لم تترك سوى
أغنيةٍ بائسةٍ لأرغن قديم
في فناء الكنيسة
المعلقة
ولأنها تعرف الرب جيداً
ولا تطمئن مطلقـًا إلى خططه
وألاعيبه
ولا إلى ملائكته الذين يحملون في أيديهم
البلط
والسكاكين
من أجل كافة الخطاة والمجدفين
فقد اختارت في ساعات الندم
والحسرةِ
أن تركع على ركبتيها الإردوازيتين
وكفلها التفاحي
أمام تمثال من الرخام الأبيض
للسيدة مريم العذراءْ
كاشفةً
للتمثالِ عن كل تلك الدموع
التي تنفجر وبضراوةٍ بين الأوردةِ
والشرايين
وعاهدت السيد يسوع المسيح نفسه
على أن تهب حياتها كلها له
ودون أدنى ذرة – واحدةٍ – من ندمٍ

أو شك
وذلك قبل أن تأخذ الحرب الأخيرة حبيبها
الذي لم تعد تعرف عنه أي شيء
ولما
لم يكن يخامرها أدنى شك
في أنه سوف يعود ذات يوم
مكللاً بالغار
والمجد
فقد ربطت على قلبها بكلماته الأخيرةِ
وأغنياته التي صاغها في ساعة الوداع
ودون أن تنبس ولو بكلمة واحدة
سوى تلك الدموع البليغةِ
بطعم الألمْ
والدمْ
والكلمات التي تنحبس في الحلقِ
كالشوك
ورغم ذلك
فقد أخذت تطلق طيورها الليلية
الأسيرة
في الأرجاء كافة
في انتظار أن تعود تلك الطيور
وفي منقارها الأخضر
غصن زيتونٍ
جافٍ
أو حتى تخبرها بكلمة واحدةٍ عن رجلها المحاربِ
وإذ اشتاقت في ليلةٍ من ليالي الشتاء الطويل
إلى دفء أنفاسه
وعمل يديه الحانيتين
وإلى حليب جسده الساخن

فقد ظلت واقفة أمام المذبحِ
لعشر ليالٍ
كاملةً
ودون أن يتسلل إلى قلبها الوهن
أو تنخر في روحها الوساوس
وظلت تردّد
وبلا انقطاع
أين أنت أيها الحبيبْ
يا من اصطفيتك كلك لنفسي
كلماتك التي تركتها تحت لسانيْ
مثل بضع زيتونات جافةٍ
وعلى شفتي مثل حبة شمس
تعويذتي الخالدة
من السأمِ
واليأس
أيها الحبيب النائم تحت جلدي!
في الليالي الحالكة مثل حَسَكةٍ
رأيتك بعين قلبي
وأسكنتك بمفردك
في منازل الروح
العاليةِ
وفي ليالي الحصاد والصيف
أطلقت عليك نسائم محبتيْ
وأدخلتك
مثل فراشةٍ مغوية بألف فم
إلى جنات جسدي
لتأكل وتشربْ
حتى يولِّى الصيف الحارق
ويأتي الربيع الرّنان

هناك
وعلى مصبات أنهاريْ
وكافة أوديتي
جعلتك ترعى كالغزلانِ
وطيور البر
وتتنقل من غصنٍ لغصنٍ
مثل حجلٍ إلهي
واصطفيتك – كلك – لنفسي
أيها الحبيب
أيها الغريب
يا رجلي المحاربُ
يا من جعلت لك من كلماتيْ
كأس زبيب وخمرٍ
حتى أخفف عنك وطأة الزمن
وضراوة النسيان
لا تقل إنك لا تعرفني
لا تقل إنك لا تسمعني
ولا تقل إنك لا تحدق في بئر روحك
الملآن بالزهر
والشمس ولا تراني
حدقْ
حدق جيداً
فسوف تجدني مثل عملةٍ ذهبية من قرون ترنّ
تحت قمر مخنوق
ويشرقُ عليك وحدك
أيها الغريب
يا من أخذت العقل كله
وتجولت في كافة معاقل الروح كالخطيئة المحببة
إلى أن تركت الجسد

يتلظى
في انتظار أن تهطل عليّ كافة أمطارك الاستوائية
وصبوات شهواتك
الحارقة
ماذا أفعل أنا بكل هذا الجسد
الذي فقد سيطرته واتزانه
بدون عمل يديك
اللّماعتين
ووقع أنفاسك
المدربة؟!
أيها الحبيب
أيها الساكن هناك بين الجنّات
وعلى مصبات الأنهارْ
يا كل لغاتي المفردة
و يا عنقود عنبي الأحمر
لك
وحدك
سوف أهيئ سريري الذي صنعته
من القزّ
والحكايات
وسوف أنتظرك إلى أن تكتمل دورة أيامك
ولياليك
وأرى نجوم عينيك إذ تلمعان
في الأفق
مثل نجمة مخاتلة
أو قمرٍ
يخرج عن المدارْ
ويعود
ليقف أمام بابيْ

وتحت نافذتي
أين أنت
قل لي؟!
ولمّا سمع التمثال
تلك الدعوات الحارة
والصلوات القائمة
التي تخرج من فم السيدة كالسيل
أدرك
أن الصمت
والوقار
اللذين يحتفظ بهما لنفسه
ومنذ سنوات بعيدة
بلا طائل
فما كان منه
إلا أن نزل عن قاعدته الرخامية
وتحول إلى طائر بجناحين أزرقينِ
وفم أخضر
وطوق السيدة
بشفتيه الخَرَزِيتينِ
فيما كانت آخر الشمعات الثلاث التي أشعلتها السيدة لنفسها
لا تزال ترسل أضواءها الساهرة
هذه الأضواءُ
التي تحولت إلى خبزٍ
وخمرٍ
وكتلٍ من دموع حمراءْ
وكأن الرب نفسه قد بدأ يتحنَّنْ وينزل من على صليبه المعقود
في ساحة القديس
بطرس الرسول؟!

مرآة

أحيانـًا تستبدّ بنا المرآة
فلا نلبث إلا أن نعكس صورتها الملغومة
على كافة الأشياء
لتتأكد من نفسها
وأن ما صنعته بنا
هذه المرآة
ليس إلا صورة الأشياء في ذاتها
إلى أن تظهر في آخر الليلِ
هادئةً
ومطمئنةً
في هيئة أفكار
وصور
المرآة!!
هذه التي يلهو بها الطفل
وهي تعكس شمسه البعيدة
ويحتفظ بها في ساعة الغسق والوحدةِ
كي يعيد رسم أفكاره
وأحلامه الغائرة
بعيداً عن الواقع والفكرْ
المرأة الرغبة
والمرآة الزمن!!

وداع المعنى

في وداع المعنى
أبدّد المعنى نفسه
يقف الهواء على سن إبرةٍ
ويتعلق الضوء

بالشفة
ما ينحرف هو ما يستقيم كذلك
سلطة الماضي تكمن في الحاضرِ
والمستقبل هو حجر الزاوية
يا لهؤلاء البنائين
أجرح الأشياء
لأبدد الرغبة
أقترب من الصيرورةِ
لأنشد المعنى
العالم الهيولي
والعالم الرمز
يسقطان في شبك الناصبة
إنه العقل
حيوان الوجود
المجرد!!

أغنية مرحة عن الليل

بتؤدةٍ
سوف نرتقي درج الليل العائد
وكما هي العادةُ دائمـًا
سوف نتوقف قليلاً لنغني
على حجارة السماء الراسخةِ
وسوف نكتب على حوافّ الأنهار
الرائجةِ
بعضـًا
من أغنياتنا الساذجة
وعاداتنا السيئة
أيتها الوحدة السامّة

لا عزاء لي تحت كل هذه السماوات
ولا مغفرة لك
فوق كل هذه الأرضْ
النجوم الرصاصية الغامضة
والأماسي الزائفة
لكلماتنا الميتة
وصلواتنا العمياء
سوف تغتسل بالندمْ
فوق جدران الزمنْ
الصلبْ
ما من نعمةٍ سوف تعملُ
ما من كلمةٍ أكيدةٍ في نهاية الممر
أيتها الرحمة الإلهيةُ
أين هي يدك التي تعملُ
وبين كل هذا الألم
ما من عزاء أكيد
لهذا العالم!!

طائر الغبار

على هيئة طائر من الغبار
تقف الوحدة العزلاء
ممسكةً بذراعين خشبيتين
وبمنقارها الذي يشخب بالدمْ!!
ما الذي تريدينه أيتها الوحدة العزلاء
غير عينين نضاختين
وفم ينفث الحجرْ
على طبقٍ من نارٍ
ونحاس

أيتها الوحدة
يا طائر الغبارْ
توقفي بسفنك التي تشبه الندمْ
وسنابلك التي تشبه البخارْ
وعلى مرمى حجر من مسالك الروح الرّنانة
لكل هذا الوجود الإنساني الممض
توقفي
على قاع تلك الكواكب الغائرة للزمن
كي تعبر كل هذه الحشود الهائلة
بمراياها
التي تعجّ بالضحايا.

العربات ذات الجياد الخشبية للزمنْ

النفق الأزرق للجياد الميتة
فئران الروح الصدئة
صلوات العدم الأجير
فوق أشرعة الفجر الميّالة
الدم الأخضر
لطائر الليل الفحمي
الصمت المقترح
لكنسية الشتاء المعلقة
لنبقِ
الليل مفتوحًا على نجمتنا
العارية
لنبقِ
الليل مفتوحـًا
على كفل امرأةٍ
تعرف كيف تُغرّر بالعشبْ

وتجعل القمر
يشهقُ
على كأسي الفخذين الرخاميتينِ
ودون
أن تبدّد عنها
رعشة الهواء!!
لنبقِ
الليل مفتوحـًا
على تلك القبل اللاإنسانية
التي لا تعرف إلا طعم السنوات الجريحة
بطيورها البلاستيكية
وأنهارها المالحة
وبأياديها
المتلكئةِ المرحة
ووعودها الأجيرة
سوف تطرق هذه النجمة السوداءْ
نوافذ السماء العليمة
تلك النوافذ
التي تنحلُّ تحت عربة الزمنْ
ودون أن تندّ عنها
ولو
صرخة واحدة!!

أغنية إلى نفسي

لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابيْ
وأن
أصرّ الماء في صرةْ

لقد صعدت إلى السماء ونزلتْ
وما رأيت أي شيء
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الهاويةِ
وما جمعت سوى الحصى
والرمل
كان العدم يتفرّس فيّ بأنيابه الفرّاسة
ويحك ذيله الطويل بخيالاتي المملحة
وأنهاري الغارقةِ
ويقف على بوابة أنفي
مثل ذبابةٍ تطنُّ
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الوردةِ
ولألف شمس
جمعت كل هذا الندى
كنت أصغي إلى الحصى
والرمل
تحت وابل من المطرْ
وكنت أجمع الشك
في سلة من الألم
لم تكن هناك أغنية واحدة لأغنيها لنفسي
– وذلك عبر الليل كله –
في فراشي الذي يمتلئ بالنمل والضفادع
كانت هناك الحياة الضرورة
والموت الضرورة
لقد مشيت في السكك التي تمتلئ بالدموع
والدمْ
كنت أنا والألم صديقينِ
في حياة مترعةٍ

باليأس
لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابيْ
وأن
أصر الماء في صرةٍ
فمن صعد إلى السماء ونزل؟

تعويذة

إلى هـ.ن

أنتِ
أيتها المعزى الإلهية
أبداً
لم تعرفي الصلاة إلا كندمٍ أخير
ولم تعرفي النومْ
إلا كاستيقاظٍ خالص للعشب
رائحة ثوبك التي تشبه شمس الغاباتْ
وطعم يديك المبقعتينِ بالتوتِ
وحليب الأيل الجبلي
شريعتك الغائبة عن
الآب
والابن
والروح القدس
لم تكن الحياة أبداً بالنسبة لروحك الواثقة
إلا حقل أشواكٍ
وأرض حناناتْ
أنتِ
الأكثر من فراشةٍ

والأعمق من قمر بشراشيب
كلماتك التي تخرج من بين شفتيك
الطافيتين
على بحيرات الألم
والشوك
لم تكن سوى حضّانات
أزهارْ!!
بيديك الطيبتينِ
كحمامتين سيدتين
كنت تنضجين خبزنا كفافنا
في جوف تنورك المنصوب دائمـًا
على أطراف الصحراوات
والرب
ولم يكن لك من أحلام تشغلك
سوى تلك الأحلام البائدة التي تخبئينها
في طرف ثوبك
وعلى أجنحة فراشاتك
التي تنبعث في الليل وعبر حركة جسمك
الواسعة تمامـًا
التي تطردين بها الأسى والوحشةَ
عن روحك الجريحةِ
دائمـًا
أعرف أن هذه الفراشات
سوف تتبعك من بلدٍ إلى بلدٍ
ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ
مثل طائرِ الإوز
لتقف – هناك – على أطراف أصابعك
مثل غابةٍ من الحليبِ والفحم

وعلى أعالي فمك
تنطلق دائمـًا
آهِ
من نظرتك الأجيرة
أيها النسيان الذي لا يعرف طعم الندم أبداً.

عمل الذاكرة

تلك الذاكرة التي تعمل مثل كرّاكات صدئةٍ
وتتوقف في المحطات النائية
لأبراج الليلِ
لينزلَ منها الوقادون
وعمال الإنقاذ
وحاملو النفائس البشريةِ
والأساطيرْ
ولتتزود بالطاقة اللازمة للقصور الذاتيْ
وبعيداً عن عوامل التعريةِ
هذه الذاكرة
سوف تتوقف كذلك
على حوائط الساعات
والعزلةِ
لتتذكر كل أولئك الذين فقدوا أرواحهمْ
ومعاطفهم
فوق أطواق النجاة العملاقة
لسفينة غارقة ترقد في الأعماقْ
وتنمو عليها قارات هائلة من الطحالب المجوفة
ونباتات الفطر
لتصنع منها نجمة أسطورية
لكلاب البحرْ.

عناكبْ

هذه العناكبُ المدوية في الفراغِ والظلمة
هذه العناكبُ التي تأكل من لحم روحي ليل نهارْ
على مائدة العدم اللزجةِ
وتصفق بجناحيها البنيين
فتتساقط طورُ اللامبالاةِ المرحةِ
فوق أطباق الصمت
الباذخة
هذه العناكبُ الليلية التي تسرح على أرضية الغرفةِ
وتملأ نوافذ النهارْ
بأسنانها البلاستيكية
هذه العناكبُ
سوف تجلس هي الأخرى
على الأرصفة المتآكلة لليلِ
لتتأكد من الأحلام النحاسية
لطيور الندمْ
وهي تنسج بجناحيها الرخاميتين
وفوق كل تلك السكك
التي نسير عليها محاصرين بالألم
والغياب
جمجمة الزمن المتدحرجة أبداً!!

ملاحظات وتعليقات

(1)

الطائر الأزرق ذو المنقار الذهبي
كثيراً ما يتوقف على باب غرفتي
ليتأكد من خلوها من الأحلامْ
وكثيراً

ما أسمعه وهو ينقّرُ في شراشف السرير
والمخدات
– إلا أنه
وعندما يأخذ الليل في الغناء فجأةً
وتبدأ ساعات الحائط في مراقبة الوحدةِ–
لا يملك هذا الطائرُ الأزرق
إلا أن يحلّق بجناحيه عالياً
على هيئة قوس قزح
فيما أحدق في كل تلك الأحلام
التي تتساقط على الجدرانِ
وأرضيةِ الغرفةِ
حتى لا تقع السماءُ على الأرض!
(2)
لماذا
لا يقف ذلك الطائرُ الضرير
إلا على عظم روحيْ
ولا يحرك رجليه إلا كالمومياوات عند مطلع كلّ فجرْ
فإذا ما أراد أن يجرب آلاته الحربية
ومعاوله المسننة
فوق المستنقعات الشاسعة
بعجلاته المطهمة بالدروع
والخفافيش الملونةِ
لا يلبث إلا أن يطير بجناحيه المنحوتينِ
من الرخام
والألم
وفي منقاره المعقوف رقبة طائرٍ أخرقٍ
ولا يشبه فصيلته الحيوانية
إلا في الضحك
والنسيانْ

ولا ينظر إلى الأرض إلا من خلال فوهته الحربية
وتلسكوباته المقعرة التي تخترق كافة الخلايا
الإنسانية
ومن فوق حصونه المدججة بالعجلات والنارْ
ليستطلع العالم كإله راسخٍ
من آلهة الصيد.

جلجامش

عن الأغنية الصامتة التي تغنيها اللذة
عبر مسالك الليل

1 – حانة سيدوري

حينما فتحت سيدوري أبواب الحانةِ
ذات صباح خريفي
كان جلجامش الذي أتى لتوه من مدينة أوروك
ذات الأبواب السبعة والمسيجة بالذهب والفضة
يحمل على ظهره بقجته وأدوات صيده وقنصه
ومن خلفه ظهر أنكيدو ذلك الفارس الشجاع
ممتطيـًا صهوة جوادٍ أصهب
وإذ رأت سيدوري جلجامش بذراعيه المفتولتين
كعارضتين خشبيتين ملفوفتين بجسده الذي يشبه
جسد أسدٍ مندكٍ وبعينيه اللتين تطقانِ بالشرر
والحتفِ هتفت
جلجامشْ
لمَ لا تدخل
هأنذا قد أعددت لك كل شيء
المائدةَ
وزِقاقَ الخمر
شعري الطويل الذي يشبه قطعـًا من الليلِ

سوف أجعله مخدةً لرأسك الجميل هذا
جسدي الرطب الحلو
الحار
كرقائق الذهبْ
سوف أروِّضه ليكون حوضـًا لخيولك الصاهلة هذه
شفتي الحارقتانِ
كسلكتينِ من القرمز
والمفتولتانِ من العاج
وشقائق الضوء
سوف يكونا كأسيْ نبيذ لشفتيك الإلهيتينِ هاتين
جلجامش!
خمرة جسمي الذي ما أعطيته لأحدٍ من قبلك
سوف أعطيها كلها لك
مفاتيح بيتي
وأسرار داري
سوف أجعلك خازنـًا عليها
كنوزي
وخواتم أصابعي
بكارة جناتيْ
وكافة لذائذي
سوف تكون ملكـًا متوجـًا عليها
يا كل أنهاري التي تنبع من الجهات
– وعبر سواحلي المترامية الأطراف –
سوف تخوض فيها بمفردك
بدءاً
من القبة الواسعة لجسميْ
وحتى اللجة الشاسعة لروحيْ
خذني يا قرصاني الجميل
بأصابعك خذني

بأسنانك التي تضعضع الجبلَ
وتخلخل مفاصل الروحِ
خذني
بشفتيك القرصانيتينِ
الجحيميتين
وريقك العذب
خذني
خذني ولا تخف
بكل تعب أيامك
وسهر لياليك
بكل يأسك
وأملك
خذني
يا جلجامش
أرض روحي التي لم يمش عليها أحد من قبل
سوف أجعلك تدوّرها بين إصبعيك
كالرحى
وتعلقها في آخر الليل
كالمشاعلِ
على فرْشة نومك
سوف أجعلك تهرسها بيديك القويتين
وتتذوق حليبها الساخن
بشفتيك الجهنميتين
اعتصرني أيها الحبيب
وكما تعتصر تفاحةً ناضجةً
فكّك عروة جسمي على مرأى ومسمع من شفتيك الرّنانتين
كما تفكّك حبال سفنك
الراسخة
التي تعبر البحار والمحيطاتْ

نفِّضني على ركبتيك السنديانيتين
وكما يفعل بأعواد الحنطة
حصادو أرضك
وجوّابو آفاقك!!
خمر روحي التي أحتفظ بها ومنذ ألف من السنوات
سوف أسكبها تحت نعليك
كالدرانقِ
عصير أيامي
منفرطٌ على أكمامك يا شمسيَ الحارة
ويا سواسني الميالة
شهواتي التي تتفجّر من بين أعضائي كالنبعِ
حجزتها كلها لك
لتعبر عليها من غابةٍ إلى غابةٍ
ومن حليبٍ
إلى حليبٍ
بين غابات الحنطة والزيتون
سوف أجعلك تنام كملكٍ
وأنا لك كوصيفةٍ
وعاشقة!!
سأدلك على شجرة الخلدِ
وملكٍ لا يبلى
لا تفتش عن سماوات أخرى يا جلجامش
غير هذه السماء لن تجد
لا تبحث عن أرض أخرى
يا رجلي المقيمْ
سوى هذه الأرض ليس ثمة أرض
الحياة رحلة بين موتينِ
يا جلجامش
والحب هو اللحظة الوحيدة التي تعزفُ الخلود

في الزمن
أرضي هي الخلود
والزمن
سوف أجعلك تزرع كل هذه الأرض
بأشجارك الملونة
وكافة أسماكك البريةِ
حقولي الجافة
وسهولي المترامية الأطراف
سوف ترويها بمياه آبارك وأنهارك
التي ما لها من مثيل
وسوف تكون حصّادها الوحيد أنت
دارس حنطتها الأمهرَ
وقناص براريها المهيبْ
وعلى ظهرك
سوف تحمل حربتك الوحيدةَ
وفوق ظهرك قوسك
وسيفك
لتحميها من كل متلصص وأخّاذْ
فإذا ما غابت الشمس
سوف تعود إليّ لأدفئك من برد الليل
ومن كل تعب النهارْ
من سمن روحي
وعسل قلبي
سوف أطعمك كل أيام حياتي
فعن أي شيء تفتش
يا درقة الروح الحادة
إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد
والآلهة التي

قدرت الموت على البشرية
استأثرت هي بالحياة!
2 – سيدوري هذه السمكة الذهبية وعيناها من الزمرد!
سوف أتذكركِ يا شفيعةُ
ومثلما تتذكر غابة السنديانِ العتيقة فجراً شتائيـًا
يخرج من تحت الأنقاض دائمـًا
وسوف أطوِّق جسدك العالي بيدين تشهقانِ
إذ تكشفان عن منابعِ اللذةِ في حرير النحاس
الذي يتوقف تحت أنقاضك الشاهقةِ
كم مرةٍ يتعين على هذا النّحات البارع
أن يمسك بأزاميله وأراغيله
لينحتَ كل هذا الرخام
الذي يشبه جسمك
أنتِ
أيتها اللؤلؤة الكبيرةُ
بدروعك الهائلةِ
ودموع عينيك اللتين تشبهان فحم الكمانات وعَرَق الماس
سوف أتذكركِ
يا سيدوري
أيتها المليكةُ المتوّجةُ
على الماءْ
والشمس!!
ومثلما يتذكر الله عاصفةً
سوف أتذكركِ
يا سيدوري
أنتِ
أيتها السمكة الذهبية بعينيك اللازورديتين
وقلبك المشع!!

ورقة التوت الأخيرة

آه
يا روحي التي تتفسخ من الألم
انسي أننا ذهبنا إلى البحر ذات مرة
انسي أننا تكلمنا بالأقدام
والأرجل
والأصابع
انسي ضحكة الأعين الخالصة
وتفتح الجسدين على نافذة واحدة
انسي الليالي العديدة التي أترعناها
بالشهوة
وعسل الحليب المر
انسي الكتابة المختلسة للنظر
عبر الهواء
الذي يقف مشلوحـًا على طرف الأصابع
ومجرى الدم
ويترسخ في المخيلة
كالنقانق
انسي الشوارع التي قطعناها معـًا بالضحكات
واحتكاكات الرغبة الشرسة
ونحن نتنقل على الأرصفة كعصافير الجنة
وعبر آلاف الأميال
ودون أن نستقل ولو درّاجة واحدة
انسي المحاريث التي تحفر في جسدينا كالمسامير
والبلط
ونحن نرقد في غرفتين
منفصلتين
وبيننا المصابيح المطفأة لقطط الشوارع الضالة

انسي الرغبات الكثيرة التي تركناها على الأرصفة للعشب
وهي تتقشر بحسرة
وألم
وتفتش عن سفينة عابرة تحملها إلي المجرات
انسي السنوات التي عبأناها في أكياس الرمل
والحصى
ولم تعد سوى أشواك
وقنافذ
على شبكة الروح الضوئية
انسي الزمن الذي تركناه معلقا في الفراغ المحض مثل خلد أعمى
هناك في الشوارع
وتحت أقدام المارة
يتنطط
مثل قط مذبوح
بينما الشهوة التي قطفناها معـًا وباليدين ترقد شاسعة مثل بحر
يا روحي التي تتفسخ من الألم
أرجوك
انسي كل شيء
انسي كل شيء!!
فما عدنا نريد مزيداً من الحياة.